العرب
الإثنين 2020/02/17
السنة 42 العدد 11620

بريطانيا.. نصف دعم ونصف تجريم لجماعة الإخوان

بهاء العوام
صحافي سوري

قبل أيام بحثت جلسة متواضعة الحضور في البرلمان البريطاني في سؤال واحد يدور في خلد الكثيرين داخل البلاد وخارجها منذ سنوات هو؛ لماذا لا تصنف لندن جماعة الإخوان على قائمة المنظمات الإرهابية؟

لا توجد إجابة رسمية على هذا التساؤل. ببساطة لأن العلاقة بين المملكة المتحدة وهذا التنظيم متشعبة وتمتد لعقود، وبالتالي لا يستطيع أحدهما التخلي عن الآخر، إن أراد ذلك طبعا، إلا عبر تمهيد وترتيب يمتد لسنوات ويأتي على مراحل.

أدرك البريطانيون أن جماعة الإخوان لا تقود المسلمين وأن أوهام قدرتها على تعميم خطاب وسطي غير متشدد إزاء الغرب سقطت واندثرت

علاقة بريطانيا والإخوان معقدة قليلا. ليست على ما يرام كما كانت في السابق، وخاصة قبل ولادة تنظيم داعش الإرهابي. لكنها أيضا لم تصل إلى مرحلة العداء والخصومة المباشرة.

ما ألم بالبلاد خلال السنوات القليلة الماضية من إرهاب باسم الإسلام جعل لندن تعيد النظر بعلاقتها مع الجماعة. فتراجعت عن دعمها خطوة إلى الوراء، بعدما واجهت حقيقتين، خدعت بهما أو تجاهلتهما لعقود طويلة، ليست لندن فقط وإنما العديد من العواصم الغربية أيضا.

الحقيقة الأولى، هي أن فكر الإخوان يؤدي إلى التطرف. فهو ليس مجرد حالة من العزلة الفكرية يفرضها المسلم على نفسه كي يتحصن من ثقافتي السفور والإلحاد اللتين تنتشران في الغرب، أي العيش حالة من الدفاع الذهني عن نفسه، لا تتطور في يوم من الأيام إلى هجوم بالكلمة أو باليد أو السلاح. لقد تبين أن الأجيال التي أنتجتها الجماعة تفضل الهجوم على الدفاع. وهذا يعني محاربة ثقافة الغرب في سفورها وإلحادها و"رفضها للإسلام".

الإسلام السياسي الذي يمثله الإخوان هو الوجه الآخر للإسلام العنيف أو المتشدد، كما يصفه البعض. وهذا ليس رأيا شخصيا، وإنما خلاصة مراجعة حكومية لنشاط الإخوان في بريطانيا، أجريت في زمن رئيس الوزراء الأسبق ديفيد كاميرون. وتقول إن الجماعة تحرض على العنف وأفكارها المتطرفة تشكل بوابة واسعة إلى التنظيمات الإرهابية. وترجمة هذا الكلام واقعيا هي أن جماعة الإخوان تنتج الإرهابيين الذين يقاتلون في القاعدة وداعش وبوكو حرام وغيرها.

الحقيقة الثانية التي أدركها البريطانيون هي أن الإخوان لا يقودون المسلمين حول العالم. وكل الأوهام التي بنيت على أساس قدرة الجماعة على تعميم خطاب وسطي غير متشدد إزاء الغرب سقطت واندثرت. كذلك سقط الاعتقاد بقدرة الجماعة على ضبط مسارات التطرف الإسلامي، وجعلها تتحرك بعيدا عن المملكة المتحدة. وبالتالي لم يعد واقعيا القول بأن احتضان الإخوان يشكل حماية من الإرهاب، ويجعل الإرهابيين يتجنبون قتل وطعن البريطانيين.

كل الإجراءات التي شرع بها البريطانيون خلال السنوات الخمس الأخيرة من تطوير تشريعات وإجراءات مكافحة الإرهاب ومراقبة محتوى المناهج الدراسية في المدارس الإسلامية وتفحص الكتب التي يقرأها السجناء، وتصاغ منها الخطب في الجوامع والمساجد، إضافة إلى تتبع الأموال التي تأتي للجمعيات الإسلامية، أو تذهب منها لمشاريع خيرية، كلها بنيت على هاتين الحقيقتين، وكان الإخوان ضمن الجماعات المستهدفة فيها، إن لم تكن في صدارتها.

حظرت وزارة العدل في السجون كتبا لمرجعيات الإخوان مثل سيد قطب وحسن البنا. ومنعت الجهات الرقابية التعليمية مناهج دراسية تتبنى فكر الجماعة في تكفير المسيحيين. وبات خطاب جماعة الإخوان محاصرا في كل مكان، وكذلك أنشطتها المجتمعية والاقتصادية. ولم يتبقَ سوى وضع الجماعة على قوائم الإرهاب لأسباب يقول نواب في البرلمان إنها أكثر من كافية.

الشواهد على تطرف الإخوان في بريطانيا بعض ما يحاجج به دعاة حظر الإخوان في البرلمان البريطاني. هناك مبررات أخرى يستدعونها من خارج الحدود. فمنهم من يقول إن استهداف الإخوان للمسيحيين في بلاد الشرق، هو بحد ذاته سبب كاف لوضع الجماعة على قوائم الإرهاب. وهناك من يؤكد ويلفت الانتباه إلى تطبيق هاتفي يتبناه الإخوان، يدعو إلى استهداف المسيحيين حول العالم واستهداف المسلمين الذين ينضمون إلى الجيش البريطاني أيضا.

رغم كل هذه الأسباب ترفض الحكومات البريطانية المتعاقبة حظر جماعة الإخوان. ثمة سر تكثر حوله التكهنات وتربطه بالعلاقة التاريخية للجماعة مع الاستخبارات البريطانية. فكتب التاريخ تتحدث كثيرا حول العلاقة السرية بين لندن والجماعة منذ عشرينات القرن الماضي في مصر. مرت مئة عام منذ ذلك التاريخ، ولم نشهد طلاقا بين بريطانيا والإخوان. لكن حكومات المحافظين خلال الأعوام العشرة الأخيرة باتت تتعامل مع الجماعة بنصف دعم ونصف تجريم.

أما نصف الدعم فيبدو أنه لأغراض خارجية أكثر منها داخلية. فقد بات الإخوان في دائرة الشبهات، وجل ما يمكنهم تقديمه للحكومة البريطانية داخليا هو المساعدة في تعقب وحصر هؤلاء الذين نهلوا من فكرهم المتطرف، وينتظرون اللحظة المناسبة للتعبير عن قناعاتهم.

ويمكن أيضا تبرير الاكتفاء بنصف التجريم الذي تعامل حكومة لندن الجماعة به منذ سنوات، بأنه ثمن لهذا التعاون. وقد يكون بمثابة التمهيد لفك الارتباط التاريخي بين الطرفين بعد فترة من الزمن.

في عام 2015 قالت المراجعة البريطانية لنشاط الإخوان، إن الجماعة أصبحت كفكر وشبكة، نقطة عبور لأفراد وجماعات انخرطوا في العنف والإرهاب. وتقول بعض التقارير إن ما خفي من تلك المراجعة كان أعظم مما ذكر.

عثرة «قطر» المزمنة

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

انتكاسة متوقعة في سير المحادثات السعودية القطرية، في ظل ما تواظب الدوحة على اقترافه من أخطاء فادحة بحق جيرانها وهي تؤلب عبر منصاتها وتجمع النقائض السياسية وتتحالف مع كل من يشهر خنجره في وجه الخليج بدوله وشعوبه.

عالقة في خياراتها المزدوجة، وفي سياساتها العبثية، تحاول الدوحة إحداث تقدم في محادثاتها مع السعودية، المحادثات التي تطمع في أن تدق بها إسفينا في تماسك الرباعي العربي، الذي قرر مجمعا مقاطعتها والتوقف عن التعاطي معها، بعد أن استنفدت كل خيارات التسامح والتصالح والعفو، وأثبتت إصرارها على الخروج عن جادة صواب العلاقات الطبيعية بين الدول فضلا عن الجيران.

كانت قطر وهي في وسط المحادثات تنقض غزلها، ترسل مبعوثيها إلى الرياض لتحصل على فرصة ولو ضئيلة لتحريك الملف، في وقت تنشط فيه المنصات الإعلامية التابعة لها، في بث دعايتها السوداء ضد دول الخليج وتبرم صفقات مشبوهة ضد مصالحها في اليمن وليبيا ومصر والعراق خدمة لأجندة تركيا وإيران، في استمرار لازدواجيتها المزمنة ولعبتها الخطرة على حبال المتناقضات.

أدمنت الدوحة هذا الدور السلبي، أصبحت هي والوظيفة الرديئة التي تبنتها منذ عقدين شيئا واحدا، لا يمكنها التنازل عنها أو التفريط بها، لأن في ذلك ذهاب ريح النظام، الذي يشهد انهيار أحلام الزجاج التي شيدها على حواف الماء وشفير الأوهام.

ودّت قطر في محادثاتها الأخيرة أن تحصل على تسهيلات إجرائية تساعدها في رفع الضغط الشعبي من الداخل بعد أن استنفدت كل المبررات التي كانت تسوقها على سبيل المظلومية، لكن الحقائق كانت جليّة في ارتهان الدوحة لخيارات أنقرة وطهران، وانشقاقها عن إجماع جيرانها وعمقها الطبيعي، وتهتك النسيج الاجتماعي الذي يربطها بهم نتيجة سلوك سياسي كارثي وخيارات مؤداها الفوضى والقلاقل. كما أن الكثير من الاستحقاقات التي بذلت الدوحة الكثير لنيلها، لم يكتب لها النجاح في ظل هذا المناخ الاستعدائي، الذي تبديه تجاه جيرانها وظروف التوتر الذي تسببت فيها لنفسها.

كان إقبال قطر على المحادثات بدافع تحايلي، دون جدية ولا استعداد لنقاش جوهر المشكلة التي وقعت بها، لاسيما أن العزلة التي تعانيها الدوحة تزداد ضراوة بعد أن استبعدت كليا من السودان وسوريا وجزئيا من ليبيا. وضاعف ذلك تكاليف وأعباء المقاطعة مع تفاقم الفجوة مع جيرانها ومحيطها الطبيعي.

وبطبيعة الحال كانت الرياض حاسمة في جوابها تجاه المحاولات القطرية على طاولة المفاوضات، في أولوية أن تبدي قطر تغييرا جوهريا في مسلكها، ولاسيما في سياستها الخارجية التي أيدت فيها الدوحة أطرافا مناوئة في صراعات إقليمية عدة.

كثيرا ما كانت الدوحة حصان طروادة ضد جيرانها، وخزينة مستباحة لتأمين تغطية مالية لمشاريع الفوضى والخراب لكل من طهران وأنقرة

تاريخ قطر مع المعاهدات والمواثيق لا يشجع على الثقة بها، بعد أن أفرغت اتفاق الرياض 2014 والتكميلي العام التالي، من مضامينه تماما، والذي كان أساس الأزمة التي تعانيها اليوم ووقود المقاطعة التي تدفع ثمنها. كما أن سلوكها الإعلامي السلبي، الذي يزيد إشعال نار الخلاف عبر تجنيد جيوش مشعلي الفتن وزبانية لهيب الفرقة، يبدد كل سعي جاد لإنهاء المعضلة وإرساء قواعد الحل، ويقوض أي ثقة محتملة ويعزز الرأي القاطع بعدم جدية قطر في إنهاء أزمتها أو التنازل عن مشروعها البائس.

هناك أيضا عدد من اللاعبين الإقليميين، يضغطون لاستمرار قطر في سلوك هذا الطريق، لأنهم يجدون فيها ممولا لمشاريعهم وموجوا لسياساتهم وثغرة في الكيانات المنافسة لهم. وكثيرا ما كانت الدوحة حصان طروادة ضد جيرانها، وخزينة مستباحة لتأمين تغطية مالية ومظلة مصرفية لمشاريع الفوضى والخراب، ومنصة تلميع لرموز ومشاريع وسياسات كل من طهران وأنقرة، وهما لا تريدان خسارة ظهير مفيد من هذا النوع.

«مرض» الشريك الأكبر وعدوى الضفتين

زهير قصيباتي
صحافي لبناني

لا تريد أوروبا أن تبقى الشريك الأصغر مع الأخ الأكبر... تشكو من أن "أميركا أولا" لاستعادة "عظمتها" شعار وسياسة يكادان لا يعنيان سواها، لولا التراجع عن ركائز النظام العالمي، الذي أرسي بعد الحرب العالمية الثانية، وأبرزها ضمان القوة العظمى الولايات المتحدة الأمن الأوروبي.

يشكو الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون فقدان العدالة ما دامت أميركا دونالد ترامب التي استعادت مقولة القارة العجوز، تصر على الاستعلاء، كلما تذكرت أن على الضفة الأخرى للأطلسي شريكا أهملته، متفردة بنهجها في إدارة الأزمات الدولية. بل تذكرته لتشمله بحروب ترامب التجارية، من دون أي رادع.

لكن شكوى ألمانيا بلسان رئيسها فرانك فالتر شتاينماير، تجسد للمرة الأولى وبكل جرأة أصل العلة، ليس في اختلال العلاقة مع واشنطن فحسب، بل كذلك في الاقتراب من انهيار النظام العالمي، تحت وطأة "زخم مدمر" في السياسات الدولية نتيجة الانحياز إلى المصالح الخاصة.

كل ذلك الصخب الذي حاول وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو التصدي له في مؤتمر الأمن في ميونيخ، يعيد إشكالات العلاقة بين الشريكين إلى مصاف الأزمات الكبرى الصامتة، يثبت مرة أخرى أن ألمانيا الثنائي شتاينماير – المستشارة أنجيلا ميركل تكاد تتفرد بصدارة الدفاع الأوروبي عن سياسة أخلاقية، افتقدها العالم في إدارة دفته. وإلا ما الذي مدد عمر المأساة السورية وحروب ليبيا واليمن؟ وما الذي خطف مجلس الأمن، سوى توحش يحيله بومبيو على السعي الروسي – الصيني إلى إمبراطوريات، لا رادع فيها لإبادة البشر، ولا هوادة في تحطيم كيانات دول بصراعات الميليشيات الجوالة؟

منذ بدء عهد ترامب، سعى سيد البيت الأبيض بإلحاح إلى تغييب الدور الأوروبي على الساحة الدولية، وأمعن في التفرد بقرارات من دون التشاور مع الشريك الأول على الضفة الأوروبية للأطلسي. الأمثلة صارخة بدءا من تجميد الملف الكوري الشمالي من دون اتفاق حاسم للشروع في تدمير الترسانة النووية لبيونغيانغ، مرورا بالمحنة السورية التي بدا أن ترامب فوض إدارتها إلى "العدو" الروسي بالكامل، وفشل مرات في تعطيل عصا الفيتو الذي لم يتخل عنه الكرملين منذ سنوات... مرورا بانسحاب واشنطن من الاتفاق النووي مع إيران، إلى الانفراد بإعلان "صفقة القرن" لفرض ما يظن الرئيس الأميركي أنه سينهي قضية فلسطين، ومرة أخرى من دون أي حوار مع الأوروبيين.

ولعل الإنجاز الوحيد الذي يسجل لترامب أنه اهتدى إلى سياسة أقصى العقوبات ليكبل النظام الإيراني وبرامجه في زرع الميليشيات في "إمبراطورية طهران – بغداد دمشق – بيروت"، رغم أن المواجهة الأميركية – الإيرانية ما زالت في بداياتها.

يدرك نظام المرشد علي خامنئي أن أقصى ما يطمح إليه ترامب هو أن يسجل إنجازا باتفاق جديد مع طهران، يبقى ضمن دائرة الشكوك أن يأتي فعلا لمصلحة الشعب الإيراني وشعوب المنطقة، خصوصا في الخليج.

كل ما سعى إليه بومبيو في مؤتمر ميونيخ هو أن يبدد مفاعيل إدانة شتاينماير للأنانية الأميركية التي طغت "على حساب الجيران والشركاء"، وتنديده بنهج "استعادة العظمة" الذي انقلب انكفاء لمصلحة الولايات المتحدة.

أما دعوة ماكرون أوروبا إلى تقرير مصيرها والإمساك بالمبادرة لأن "الغرب ضعيف"، فلم تخف ما لم يقله عن فقدان الثقة بالشراكة الأوروبية – الأميركية ما دامت على حالها، وعن الخلافات المتراكمة بين الأوروبيين.

أقصى ما استطاع استحضاره بومبيو لتخفيف عزلة أميركية في المؤتمر هو حشد خطابي وراء عمل "مشترك لمواجهة تهديدات تشكلها طموحات روسيا التوسعية وتعزيز الصين وجودها العسكري في بحر الصين الجنوبي، وحملات الإرهاب التي تقودها إيران عبر خوضها حروبا بالوكالة في الشرق الأوسط".

لكن الخطاب شيء والفعل أمر آخر، على الأقل لأن واشنطن لم تراع في حرب ترامب التجارية الشعواء على الاتحاد الأوروبي مقتضيات الشراكة، فيما تطلب حضوره أينما تشاء في ساحات الصراعات حين تفرض ذلك سياسة صفر خسائر.

هي فوضى في ما بقي من نظام عالمي تريده إدارة ترامب على قاعدة المنافع الأميركية أولا، ويريده الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بمواصفات أحلامه لاستعادة الإمبراطورية. تكفي أرقام مبيعات السلاح في العالم و"ازدهارها" للدلالة على سقوط أخلاقيات السياسة... بل هي سقطت منذ سنوات على الأرض السورية.

صحيح أن إدارة ترامب تمكنت من تصفية عراب الميليشيات في المنطقة قاسم سليماني، لكن المواجهة مع إيران ما زالت فصولها طويلة، وصحيح أن واشنطن ألحقت، بالتعاون مع التحالف الدولي، هزيمة بتنظيم "داعش"، لكن خطره لم ينته. أما استعداد البيت الأبيض لاتفاق مع حركة "طالبان" فيطرح حتما السؤال عن جدوى حرب في أفغانستان يصعب إحصاء ضحاياها وخسائرها.

هي فوضى ربما لم يكذب الرئيس الروسي حين لمح إلى اعتبارها نهاية لنظام حكم العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أي منذ مؤتمر يالطا. وفيما تكتفي الولايات المتحدة بالتنديد بسياسة التمدد الإمبراطوري الروسي، يستمرئ الكرملين تسجيل النقاط في المرمى الأميركي، والعرب يدفعون الثمن.

كان شتاينماير الأكثر جرأة بين القادة الأوروبيين في تشخيص "المرض" الأميركي الراهن الذي تبدت أعراضه في ساحات عديدة في العالم، من شبه جزيرة القرم إلى سوريا وليبيا. والأكيد أن انقسام الأوروبيين، الذي يطاول أيضا أزمة هوية، لا يعفي أميركا ترامب ولا الإدارة التي سبقته من وصمة الأنانية التي لم تشهد مثلها "حامية الديمقراطيات "الغربية، وعدالة تقرير المصير.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk